الفصل الأول

التطور السياسى فى إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى

●●●●●●●

أولا: قيام دولة الأتراك السلاجقة فى نيسابور شوال ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م

كانت معركة سرخس التى انتصر فيها السلاجقة على الغزنويين هى النقطة الفاصلة فى تاريخ السلاجقة، حيث ملكوا بعدها خراسان، وكان هذا إيذانا بقيام دولتهم، حيث سار طغرلبك إلى نيسابور[١] ودخلها ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م، وجلس على عرش السلطان مسعود الغزنوى، فى ذى القعدة من نفس العام، ولقب طغرلبك نفسه بلقب سلطان، باسم السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب محمد[٢]. واستقر بدار السلطنة، وأمر أن تضرب النقود باسمه فى البلاد التى كانت تحت أيديهم، وأعلن قيام دولته الجديدة[٣].

ولما بلغ السلطان مسعود خبر قيام الدولة السلجوقية، عزم على محاربتهم، والقضاء على دولتهم الوليدة[٤]، فأعد جيشا قويا، وأراد أن يقود معركة انتحارية للخلاص من السلاجقة[٥].

كان السلاجقة قد اطمأنوا على مؤخرتهم، حيث كان إقليم خوارزم فى يد إسماعيل بن التونتاش الذى كان عدوا للغزنويين[٦]، وفى نفس الوقت ٤٣٠هـ/

---

(١) نيسابور: بفتح أوله، والعامة يسمونها نشاوور، إحدى مدن خراسان، وهى مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص ٤٢٢ - ٤٢٤.

(٢) الروانداى: راحة الصدور وآية السرور، ص ١٥٨، ابن الأثير: الكامل، مج٨، ص ٢٢٧.

(٣) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٣٠، فتحى أبو سيف: الماوردى (عصره وفكره السياسى)، ط١، مكتبة سعد رأفت، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٣٦.

(٤) الروانداى: راحة الصدور، ص ١٦٢.

(٥) بارتولد: تركستان، ص ٤٤٨ - ٤٥٠، حسين أمين: تاريخ العراق فى مصر السلجوقى، المكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥م، ص ٥٢.

(٦) ابن الأثير: الكامل، مج٨، ص ٢٢٩، بارتولد: تركستان، ص ٤٤٧.

١٠٣٨م، أقر السلطان مسعود الغزنوى «شاه ملك» حاكم جند[١] على إقليم خوارزم، فسار إليه وبه إسماعيل ابن التونتاش، فقاتله، ودامت الحرب بينهما مدة شهر، انهزم ابن التونتاش ولجأ إلى طغرلبك وملك شاه ملك خوارزم[٢].

فى الثامن من رمضان ٤٣١هـ/ ١٠٤٠م[٣]، خرج السلطان مسعود بجيشه الجرار، متجهًا إلى مرو، ومنها إلى نيسابور[٤]. ودارت معركة رهيبة بين السلاجقة والغزنويين، فى مكان يعرف بداندنقان[٥]، وانتهت بهزيمة السلطان مسعود الغزنوى، وولى منهزما تاركا خزانته وأمتعته وسائر ما يمتلك قانعا بالفرار والنجاة[٦]. وأصبح طغرلبك أول ملك من الترك السلجوقية، وهو الذى بنى هذه الدولة وسمى بالملك الرحيم[٧].

ولتوطيد نفوذ السلاجقة الأتراك فى تلك البلاد، عنى طغرلبك إلى الاستعانة بأفراد البيت السلجوقى لحكم البلاد التى بأيديهم، وقسم هذه البلاد فيما بينهم، وعين كل واحد منهم حاكما على الولاية التى صارت من نصيبه[٨].

وكان السلطان السلجوقى بحاجة إلى تفويض شرعى من الخليفة العباسى القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧هـ/ ١٠٣٠ - ١٠٧٤م)، وذلك لحكم البلاد ليكسب حكمه صفة الشرعية أمام المسلمين على الرغم من كونها موافقة شكلية[٩].

بدأ السلاجقة الاتصال بالخليفة العباسى القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧هـ/ ١٠٣٠ - ١٠٧٤م) وذلك للحصول على شرعية لدولتهم[١٠]. وقد نجح السلاجقة فى

(١) جند: بالفتح ثم السكون ودال مهملة اسم مدينة عظيمة فى بلاد تركستان بينها وبين خوارزم مسيرة عشرة أيام، وأهلها مسلمون على مذهب أبى حنيفة ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص ٨٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، مج٨، ص ٢٢٩، بارتولد: تركستان، ص ٤٤٧، ٤٤٨.

(٣) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٥.

(٤) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٦٨٥.

(٥) داندنقان: وهى من مدن خراسان، وهى أكثر المدن حريرا، وبقطنها يضرب المثل فى الجود ويجهز منها إلى البلاد، أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٩.

(٦) الروانديى: راحة الصدور، ص ١٦٣، فتحى أبو سيف: الماوردى، ص ٣٧.

(٧) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٥، ص ٤٣٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ٦٤،، فاضل الخالدى: الحياة السياسية ونظم الحكم فى العراق فى القرن الخامس الهجرى، بغداد، ١٩٦٩م، ص ١٤٣.

(٨) الروانديى: راحة الصدور، ص ١٦٧، البندارى: آل سلجوق، ص ١٠، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٩) حسين أمين: تاريخ العراق فى العصر السلجوقى، ص ٥٢، فتحى أبو سيف: المصدر السابق، ص ٣٧.

(١٠) حسين أمين: المصدر السابق، ص ٥٥، محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والشرق، ص ٩٢، محمد عبد العظيم: السلاجقة، ص ٥٤.

مساعـيهم، وتم لهم ما أرادوا حيث أرسل الخليفـة إلى طغرلبك الخلع[١] السلطانية، مع كتاب تفويض بحكم البلاد[٢].

وهكذا أصبـح للسلاجقـة كيـان سياسى، ورقـعة كـبيرة مـن الأرض، وحاكم له الزعامة التى منحها إياه رعاياه[٣]، ثم أخذوا فى الاستـمرار لمواصلة سياستهم التـوسعية بعد اعتراف الخلافة بدولتهم، فقدر لهم الاستيلاء والسيطرة على كثير من أقاليم خراسان وما وراء النهر وخوارزم والعراق[٤].

ثانيا: استيلاء السلاجقة على إقليم خوارزم ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م:

كان يحكم خـوارزم من قبل السلطان مسـعود الغزنوى «إسـماعيل بن التـونتاش» ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م، وكان يكره الـغزنويين[٥]، فاسـتعـان السلطان محمـود بالأميـر شاه ملك[٦]، فسار إلى خـوارزم، وهزم إسماعيل وكان معـه رجل يدعى «شكر» خادم أبيه، فهزمـهما شاه ملك وملك الإقليم، فسـار إلى طغرلبك وداود السلجوقيـين وطلبا المعونة منهما، فسار داود معهـما إلى خوارزم فلقيهم شاه ملك وهزمهم[٧]، واستمر الحال على ذلك، حتى قتل السلطان مسـعود سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م، وظل إقليم خوارزم على حاله بيد شاه ملك، الذى دخل فى طاعة مودود بن مسعود الغزنوى[٨].

وفى سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م توجـه طغـرلبك إلى إقلـيم خـوارزم حـيث وطد

---

(١) الخلع: جمع خلعة وهى ثوب يلبـسه الحاكم نفسه ويعطيـه كهدية بعد أن يخلعه من فوق جـسده، وكان هذا التصوف يعتبر أصلا بمثابة وعد شخـصى بالأمان أكثر منه رمز للتكريم، ثم أصبحت بعد ذلك بمثابة هدية شائعـة وتقدم فى المناسبـات، وكان رفض الخلعة يعـتبر إساءة خطيـرة أو إعلان العصـيان أو على الأقل المجاهرة بالعـداء. السيد محـمد عاشور: صناعـة الأقمشة وتجـارة الملابس وتطورها، دار الاتحاد العربى للطباعة، بدون، ج٣، ص ٨٣.

(٢) البندارى: آل سلجوق، ص ٩، دونالدولبر: إيران ماضـيها وحاضرها، ترجمة د. عبـد النعيم حسانين، ط٢، دار الكتاب المصـرى، القاهرة، دار الكتاب اللبنانى، بيـروت، ١٩٨٥م، ص ٥٩، محمد مـسفر الزهرانى: نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص ٥٥.

(٣) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٣٤.

HOLT: The Combriadge of Islam, (London, 1961), P. 232

(٤) OSBORN: ISLAM Under the Khalifs of Bagh Dad, (London 1978), P. 319.

(٥) ابن الأثير: الكامل، مج٨، ص ٢٢٩، بارتولد: تركستان، ص ٤٤٧.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج٤، قسم٤، ص ٤٦٣، بارتولد: تركستان، ص ٤٤٧.

(٧) ابن الأثير: الكامل، مج٧، ص ٢٥٦.

(٨) البيهقى: تاريخ البيهقى، ص ٧٥٨، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٣١.

الخوارزميون صلاتهم بالجماعات البدوية على حدود ما وراء النهر، وارتبطوا معهم بعلاقات تجارية، فكانوا مثار قلق للسلطان طغرلبك[١] فسار إلى إقليم خوارزم فحاصره واستطاع أن يهزم شاه ملك، واستصحب أمواله وذخائره[٢]، ويقول الحسينى[٣]: قصد الملك داود بن ميكائيل خوارزم، وفتح هزار أسب فى أسبوع، ثم فتح الجرجانية، ثم تيسر له فتح سائر الإقليم، وبذلك استقر إقليم خوارزم فى ملك طغرلبك[٤] وانضم إلى البلاد السلجوقية[٥].

وفى سنة ٤٤٦هـ / ١٠٤٥م، ثار قائد جيش خوارزم، على حاكم خوارزم حتى اضطره للاستنجاد بالسلاجقة، فسير طغرلبك إليه أخاه جغرى (داود) الذى استطاع أن يضبط أمور خوارزم[٦]، ويعيد الأمير إلى عرشه على أن يكون تابعا للسلاجقة[٧].

وعلى هذا الأساس سار خلفاء طغرلبك، بعد وفاته ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م[٨]، فقد تولى ألب أرسلان ٤٥٥ - ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٧٢م[٩]، وفى سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م عبر ألب أرسلان نهر جيحون حتى وصل إلى الجرجانية (كركانج)[١٠]، وفوض إمارة خوارزم إلى ولده أرسلان أرغون[١١]، واستطاع أن يعيد الأمن والاستقرار لهذا الإقليم[١٢].

وفى سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م توفى السلطان ألب أرسلان، وذلك حينما وصل إلى قلعة فيها مستحفظ خوارزمى يسمى «يوسف» فقبحه السلطان على أفعال قبيحة كانت منه وتقدم أن يضرب له أربعة أوتاد وتشد أطرافه إليها فقال له يوسف، يا مخنث مثلى يقتل هذه القتلة، فاحتد السلطان وأخذ القوس والنشابة، فقال حلوه، فرماه بسهم فأخطأه فعدا

---

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام فى آسيا الوسطى، طبعة ١٩٧٢، القاهرة، ص ١٨٩.
(٢) ابن الأثير: الكامل، مج٨، ص ٢٥٦، ابن خلدون: العبر، مج٤، قسم ٤، ص ٤٦٣.
(٣) زبدة التواريخ، ص ٧٣.
(٤) أبو الفدا: المختصر، مج١، ج٢، ص ١٦٦.
(٥) بارتولد: تركستان، ص ٤٤٩، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٣٢.
(٦) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٣٤، محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والشرق، ص ١٣٧: ١٣٨.
(٧) فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية ٢، ص ١٣٤.
(٨) البندارى: آل سلجوق، ص ٢٧، ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج٥، ص ٦٧.
(٩) ابن الأثير: الكامل، مج٥، ص ٣٦٥، البندارى: المصدر السابق، ص ٣٠.
(١٠) أبو الفدا: المختصر، مج١، ج٢، ص ١٨٥.
(١١) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٩٧، يذكر ابن الأثير أن أرسلان أرغون أخاه الكامل، مج٨، ص ٣٧٥.
(١٢) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٣٧، محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص ١٤٣.

يوسف إليه فنهض السلطان فتعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه، فلحقه الجند فقتلوه، واشتدت جراح السلطان وعاد إلى جيحون فتوفى. وملك بعده السلطان ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢ - ١٠٩٢م)، وملك ما لم يملكه أحد من ملوك الإسلام بعد الخلفاء، فكان فى مملكته جميع أقاليم ما وراء النهر وخوارزم[١].

وفى سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م استقل والى إقليم خوارزم به، ولكن ملكشاه أجبره على الدخول فى طاعته[٢]، وجعل على خوارزم نوشتكين[٣]. وكان غلامًا رقى بجده إلى قيادة الجيش العليا وأسس بعد ذلك بيت الخوارزميين[٤].

وهكذا بلغت الدولة السلجوقية فى عهد السلطان ملكشاه درجة كبيرة من النفوذ والتوسع، وذكر اسمه فى الخطبة، ونقش على السكة[٥] فى مملكته ومنها خوارزم[٦].

توفى السلطان ملكشاه ٤٨٥/ ١٠٩٢م، وله من الأولاد أربعة بنين وهم بركيارق، ومحمد، وسنجر ومحمود، وكان محمود طفلاً، وكانت أمه مستولية أيام ملكشاه، فبايعوه على السلطنة، وكان بركيارق أمه سلجوقية، ولم تنقض سنه، حتى مات محمود[٧]، وتولى الملك بركيارق (٤٨٦ - ٤٩٨هـ/ ١٠٩٣ - ١١٠٥م)، ومدة ملكه اثنتى عشرة سنة[٨].

(١) ابن الجوزى: شذور العقود فى تاريخ العهود، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٩٤، تاريخ ميكروفيلم ٣٥٨٢٦، ورقة ١٤٥، ١٤٤. ولقد أجمع المؤرخون على هذه الرواية ابن الأثير: الكامل، مج٨، ص ٣٩٣، البندارى: آل سلجوق، ص ٤٧، الروانداى: راحة الصدور، ص ١٩٠، ١٩١، الحسنى: زبدة التواريخ، ص ١١٧: ١١٩، ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١٢، ص ١١٤.

(٢) الروانداى: راحة الصدور، ص ١٩٤، الحسينى: المصدر السابق، ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٣) نوشتكين: كان إقليم خوارزم فى زمن السلاجقة مجرد إقطاع يخضع فى إدارته لحامل الطشت (طشتدار) وعلى هذا أقطعه ملكشاه لقائده نوشتكين فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٤٧، والطشت: هو الذى تغسل فيه الأيدى، كما يغسل فيه القماش، وفى الطشت خاناه يكون ما يلبسه السلطان من الثياب والسيف القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ١٠.

(٤) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٣٩.

(٥) السكة: هى الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها الدينار أو الدرهم، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة الأب أنستاس مارى الكرملى البغدادى: النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٣٩م، ص ١٣٥.

(٦) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٣٨، محمد محمود إدريس: تاريخ العراق، ص ١٥٠.

(٧) البندارى: آل سلجوق، ص ٨١.

(٨) الروانداى: راحة الصدور، ص ٢١٤، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٣٦٢.

وكان عز الملك أبو الحسين بن نظام الملك[١]، مقيماً بإقليم خوارزم حاكما عليه، فيما يتعلق بكل أمور السلطة، ولما قتل والده خرج منه[٢]، وكان على خوارزم منذ زمن ملكشاه نوشتكين، وظل به حتى توفى ٤٠٩هـ/ ١٠٩٦م[٣]، وخلفه ابنه محمد قطب الدين ٤٩١ - ٥٢١هـ/ ١٠٩٧ - ١١٢٧م، حاكما على خوارزم وكانت دولته بخوارزم ثلاثين سنة[٤].

وتوجه بركيارق إلى خراسان لمحاربة عمه أرسلان أرغون، وأرسل فى المقدمة أخاه «سنجر»، ثم تبعه فى جيش جرار، وكان ذلك فى سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م، فقتلا أرسلان أرغون، فتملكها السلطان بركيارق[٥]، وتولى سنجر خراسان من قبل بركيارق[٦].

توفى السلطان بركيارق سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م، وتولى أخوه السلطان محمد بن ملكشاه[٧]، وزادت قوة السلطان سنجر بخراسان، فأقر محمد بن نوشتكين على خوارزم وأعماله فظهرت كفايته وشهامته فعظم سنجر محله وقدره[٨]، وأقام السلطان محمد فى السلطة مدة، ثم مرض زماناً طويلاً، إلى أن توفى ٥١١هـ/ ١١١٧م[٩]، وخلف خمسة بنين هم: محمود، ومسعود، وطغرل، وسليمان، وسلجق، وكل منهم تولى السلطنة، سوى سلجق[١٠].

وفى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨مخطب للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه[١١]، وحدث الخلاف بين محمود وسنجر[١٢]، وجمع السلطان محمود عسكره، والتقوا فى سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م، فانهزم السلطان محمود، ولكن السلطان سنجر طمئنه وأخبره أنه إنما جاء لإصلاح أمره[١٣].

---

(١) البندارى: آل سلجوق، ص ٨٢.
(٢) ابن الأثير: الكامل، مج٨، ص ٤٨٧.
(٣) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٣٩، كليفورند أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة، ص ٤٦.
(٤) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٢٢.
(٥) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥٠٤.
(٦) الروندى: راحة الصدور، ص ٢٢١.
(٧) الروندى: راحة الصدور، ص ٢٣٤، الحسينى: زبدة التواريخ، ص ١٦٧.
(٨) ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص ١٠، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٨٣.
(٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ٧٣.
(١٠) البندارى: آل سلجوق، ص ١١٣، الحسينى: زبدة التواريخ، ص ١٧١.
(١١) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٧، ص ١٦١.
(١٢) البندارى: آل سلجوق، ص ١١٥.
(١٣) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ١٧٩.

توفى محمد بن نوشتكين سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧، وتولى ابنه آتسز[١]، وعندما استولى السلطان سنجر على سمرقند[٢]، عام٥٢٤هـ/ ١١٢٩م، أخضع خوارزم تحت حكمه، وأبقى على آتسز بن محمد بن نوشتكين ملك خوارزم[٣] (٥٢٢ - ٥٥٢هـ/ ١١٢٨ - ١١٥٧م)، فمد ظلال الأمن وأفاض العدل وقربة السلطان سنجر وظل على وفاق معه وكان يصحبه معه فى حروبه[٤]، وظهرت كفايته، حيث كان كفؤاً واسع الأطماع، ومن ثم عمل فى الوقت نفسه على الإفادة من ازدياد قوته ليتحرر من سلطان سنجر[٥].

ولما أطمأن آتسز إلى قوته حاول أن يجعل دولته مستقلة استقلالاً تاماً عن السلاجقة، وعمل على توسيع رقعة دولته على حساب الدولة السلجوقية الضعيفة.

وعندما توفى السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م، تولى بعده أخوه طغرل[٦]، حتى توفى ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م[٧]، وملك بعده السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه (٥٢٩ - ٥٤٧هـ/ ١١٣٤ - ١١٥٢)[٨]، وقام بالأمر بعده أربعة سلاطين، ذكرهم البندارى[٩]: محمد بن محمود بن محمد ملكشاه، تولى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، والسلطان سليمان بن محمد ملكشاه (وتوفى سنة٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ثم أرسلان بن طغرل ابن محمد (٥٥٦ - ٥٧١هـ/ ١١٦١ - ١١٧٦م) ثم أخر السلاطين

---

(١) الذهبى: تهذيب سير الأعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٢٢، آتسز: كلمة تركية معناها من لا اسم له (آت = اسم، سيز = أداة التجريد) وقد جرت العادة عند الترك أن من يموت بنوه صغارا يسمى واحدا منهم آتسز حتى يعيش ولا يهلك. النظامى العروضى: جهاز مقالة، حواشى المقالة الأولى، حاشية ٢٦، ص ١٠٩.

(٢) سمرقند: يقال لها بالعربية سمران، بلد مشهور، من أقاليم ما وراء النهر وهى قصبة الصغد، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص ٦٦.

(٣) الروانداى: راحة الصدور، ص ٢٢٧، حسن إبراهيم: (د. حسن إبراهيم حسن، د. على إبراهيم حسن)، النظم الإسلامية، ط٢، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م، ص ٧٦.

(٤) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٣٨٢، عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ص ١١٩.

(٥) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٤٨، مصطفى دسوقى: المسلمون فى آسيا الوسطى، ص ١٦٨.

(٦) البندارى: آل سلجوق، ص ١٤٥.

(٧) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٧، ص ٣٠٣، ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١٢، ص ١٢٢٦، ويذكر البندارى أنه توفى سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م. آل سلجوق، ص ١٥٩.

(٨) البندارى: آل سلجوق، ص ١٦١، كليفورد. أ. بوزروث: الأسرات الحاكمة، ص ١٦٧.

(٩) آل سلجوق، ص ٢٠٩ وما بعدها، ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١٢، ص ٢٤٧.

أبو طالب طغرل بن أرسلان بن طغرل ابن محمد بن ملكشاه(٥٧١ - ٥٩٠هـ/ ١١٧٦ - ١١٩٤م)[١].

ذكرنا فى عجالة سريعة سلاطين السلاجقة من ٥٢٥ - ٥٩٠هـ/ ١١٣٤ - ١١٩٤م لأنهم خارج نطاق البحث، حيث لم يكن لهم دور مؤثر فى إقليم خوارزم، كما لم يكن لهم دور بارز فى الصراع السلجوقى الخوارزمى، حيث كان الصراع بين السلطان سنجر السلجوقى الذى ناب فى السلطة عن أخيه بركيارق سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م، واستقل بالسلطنة سنة٥١٢هـ/ ١١٨م، عقب موت أخيه السلطان محمد بن ملكشاه، وبين آتسز الخوارزمى حاكم خوارزم.

ثالثا: الصراع السلجوقى الخوارزمى بين سنجر وآتسز(٥٣٣ - ٥٥٢هـ/١١٣٨ - ١١٥٧م).

كان آتسز فى الأعوام الأولى من ولايته التابع المخلص للسلطان سنجر[٢]، وكان سنجر يستصحبه معه فى أسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدما وعلوا[٣] وعمل آتسز على الإفادة من ازدياد قوته ليتحرر من سلطان السلطان سنجر[٤]، وفى سنة ٥٣٣هـ /١١٣٨م، بلغ سنجر أن آتسز يحدث نفسه بالامتناع عليه وترك الخدمة له[٥]، وحاول أن يجعل دولته مستقلة استقلالا تاما عن السلاجقة، كما عمل على توسيع رقعة دولته على حساب الدولة السلجوقية المتداعية[٦].

فقصد السلطان سنجر خوارزم، فلما قرب من خوارزمشاه آتسز خرج إليه فى عسكره، فاقتتلوا فلم يكن للخوارزمية قوه بالسلطان فلم يلبثوا وولوا منهزمين وقتل منهم خلق كثير[٧] ومن جملة القتلى ولد لخوارزمشاه فحزن علية حزنا شديدا، واستولى سنجر على إقليم خوارزم[٨] وأقطعه غياث الدين سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه، وعاد

(١) الرواندى: راحة الصدور، ص ٧٣، البندارى: آل سلجوق، ص ٢١٢ - ٢٦٧.
(٢) بارنولد: تركستان، ص ٤٧٤.
(٣) ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص ١١.
(٤) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٤٨.
(٥) ابن الأثير: نفسه، ص ٣٠٩، بارتولد: تركستان، ص ٤٧٤.
(٦) عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ص ١١٩، الغنيمى: الإسلام والمسلمون، ص ٩٣.
(٧) ابن الأثير: الكامل، مج٩، حتى ٣٠٩، أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج٢، ج٣، ص ١٥، ١٦.
(٨) أبو الفدا: المختصر، مج٢، ج٣، ص ١٦، ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ٢، ص ٢٣١.

سنجر إلى مرو فى جمادى الأخر من هذه السنة، فانتهز آتسز الفرصة ورجع إلى إقليم خوارزم وكان أهله يكرهون العسكر السنجرى، فلما عاد آتسز أعانوه على ملك الأقاليم ففارقه سليمان شاه، واعتلى عرش خوارزم ثانية، وفى سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م، أرسل رسالة قسم إلى سنجر وتعهد أن يبقى على الطاعة(١).

وفى سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م، راسل آتسز، كورخان الخطائى(٢)، فيما وراء النهر، بطمعه فى البلاد، ويحثه على قصد مملكة السلطان سنجر، فسار فى ثلاثمائة آلف فارس، وسار إليهم سنجر وعساكره، والتقوا بما وراء النهر، على باب سمرقند فى موضع يقال له قطوان(٣)، واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم سنجر وعساكره، وقتل منهم مائة آلف قتيل منهم اثنا عشرة ألفا كلهم صاحب عمامة، وأربعة آلاف امرأة(٤)، وأسرت زوجة السلطان سنجر، وتم السلطان منهزما(٥).

ولما تمت الهزيمة على السلاجقة سار آتسز إلى خراسان ونهب من أموال سنجر شيئا كثيرا، كما استقرت دولة الخطا والترك بما وراء النهر(٦).

وفى سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م، سار السلطان سنجر إلى خوارزم، فجمع خوارزمشاه آتسز عساكره، وتحصن بالمدينة، ولم يخرج منها للقتال، لعلمه أنه لا يقوى على سنجر، وكان القتل يجرى بين الفريقين، من وراء السور، فلما رأى السلطان قوة البلد، وامتناعه، عزم على العودة إلى مرو، ولكن أرسل آتسز رسلا يبذل المال والطاعة، والخدمة، ويعود إلى ما كان علية من الانقياد، فأجابه إلى ذلك، واصطلحا وعاد سنجر إلى مرو، وأقام خوارزمشاه بخوارزم(٧).

---

(١) ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص ٣٠٩.

(٢) كورخان: هو صاحب دولة الخطا فيما وراء النهر، وكان أغلب السلاطين الخوارزمشاهية يدفعون الجزية لهم حتى تغلبوا عليهم، حين هزمهم علاء الدين محمد خوارزمشاه (٥٩٦ - ٦١٧هـ/ ١١٩٩ - ١٢٢٠م). النظامى العروضى: جهاز مقالة، حواشى المقالة الأولى، حاشية (٢٤)، ص ١٠٧: ١٠٨.

(٣) قطوان: قرية من قرى سمرقند على بعد خمسة فراسخ منها، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص ٧١.

(٤) ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص ٣١٩، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٨٥.

(٥) أبو الفدا: المختصر، مج٢، ج٣، ص ١٦، ابن الوردى: زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردى، ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، تاريخ ابن الوردى، جزءان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٢، ص ٤٣.

(٦) أبو الفدا: المصدر السابق، مج٢، ج٣، ص ١٦، ابن الوردى: المصدر السابق، ج٢، ص٤٣.

(٧) ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص ٣٢٩، ٣٣٠، عباس إقبال: إيران، ص ٢٨٦.

وفى سنة ٥٤٢هـ/ ١٤٤٧م قام السلطان سنجر بحملته الثالثة على خوارزم، فحاصر هزار اسب، واستولى عليها بعد شهرين، ثم زحف على عاصمة آتسز، ولكن السلطان سنجر وافق على الصلح، غير أن آتسز على غير العادة المتبعة لم يقبل الأرض بين يدى السلطان، بل ولم يرتجل عن صهوة جواده واكتفى بأنحناء رأسه، وبرغم ذلك فإن سنجر لم يجد ضرورة لتجديد القتال بسبب هذا القصور فى واجب الاحترام الذى بدر من أتباعه، وعاد إلى مرو فى المحرم سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م[١].

وفى سنة ٤٣٨هـ/ ١١٥٣م، جرت حادثة بخراسان كانت لصالح مخطط آتسز[٢]، وهى حادثة الغز، وهم فرسان من التركمان كان مقامهم ومرعاهم بختلان[٣]، وكانوا كل عام يدفعون خراجا قدرة أربعة وعشرون ألف رأس من الغنم يقدمونها لمطبخ السلطان ووصل الخبر يعلو شأن هؤلاء الغز[٤]، وخرجت الغز على السلطان سنجر، فالتقاهم السلطان فهزموه واستباحوا عسكره وأسروه، وعذبوا الرعية، وفعلوا كل قبيح، وأبقوا الخطبة باسم سنجر، ولكنه بقى معهم صورة، فذاق الذل والجوع[٥]، وفى سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م، هرب السلطان سنجر من أسر الغز، وجماعة من الأمراء الذين معه، وسار إلى قلعة ترمذ، واستظهر بها على الغز، وكان خوارزمشاه آتسز يغازى الغز، فيقاتلهم، فكانت الحرب بينهم سجالا وغلب كل واحد من الغز، والخراسانيين، على ناحية من خراسان[٦].

وفى نفس العام توفى آتسز بن محمد نوشتكين، وخلفه ابنه إيل أرسلان[٧]، وفى العام التالى ٥٥٢هـ١١٥٧م توفى السلطان سنجر بن ملكشاه[٨].

---

(١) بارتولد: تركستان، ص ٤٧٨، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٨٧.

(٢) بارتولد: نفسه، ص ٤٨٠.

(٣) ختلان: بفتح أوله وتسكين ثانية وآخره نون، بلاد مجتمعة وراء النهر قرب سمرقند، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص ٢١٥.

(٤) الروانداى: راحة الصدور، ص ٢٦٨.

(٥) الذهبى: شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى: ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، دول الإسلام، جزءان، تحقيق حسن إسماعيل مروة، وقدم له محمود الأرناؤوط، ط١، دار صادر بيروت، ١٩٩٩م، ج٢، ص ٤٩، لمزيد من التفاصيل عن حادثة الغز، راجع ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص ٤٠٩ وما بعدها، ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١٢، ص ٢٤٩.

(٦) ابن الأثير: الكامل، مج٨، ص ٤٠٧.

(٧) ابو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج٢، ج٣، ص ٣٠، ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ٥٥.

(٨) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١٢، ص ٢٥٥.

رابعا: نهاية السلاجقة ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م:

بوفاة سنجر انتهت القوة السلجوقية تماما من بلاد فارس وخراسان ولم يجد الخوارزميون بعده منافسا يقف أمامهم ويعوق سبيل توسعهم، فخلا لهم الجو تماما[١].

وخلفه على خراسان محمود خان ابن أخته، فأقام خائفا من الغز[٢]، وخلف آتسز على خوارزم ابنه إيل أرسلان، فأرسل إلى محمود خان يهنئه ويخبره بأنه قد أعلن الحداد ثلاثة أيام بخوارزم حزنا على السلطان سنجر، غير أن خوارزمشاه إيل أرسلان فى رسالته يدعوا نفسه «الصديق المخلص»، بينما كان آتسز يدعوا نفسه فى رسائله إلى سنجر «عبدك»[٣].

ولقد استطاع إيل أرسلان (٥٥٢ - ٥٦٨هـ/ ١١٥٧ - ١١٧٢م)، أن يبسط سلطانه على غربى خراسان عقب وفاة سنجر[٤]، وأخذ يعمل على تقوية دولته دون أن يخشى القوة التى وقفت فى وجه أسلافه من الخوارزميين، فالحقيقة أن دولة السلاجقة فى فارس انتهت تماما بوفاة سنجر، وانقرض خلفاؤه بعد أن عجزوا عن مقاومة دولة الخوارزميين الفتية[٥]، حيث أنه فى سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م توفى السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه، وملك بعده عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه حتى ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م[٦]، ثم تولى أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة، وسبعة أشهر ٥٥٦ - ٥٧١هـ/ ١١٦٠ - ١١٧٥م[٧] ويقال فى هذه الفترة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م أن أقاليم ما وراء النهر بعثت بوفد من أهلها إلى إيل أرسلان تستنجد من مظالم أمير سمرقند واعتداءاته، فأسرع إيل أرسلان، هناك فى قوة كبيرة، وفتحت له بخارى أبوابها سلما، إلا أنه لم يستطع بعد ذلك أن يواجه ذلك الجيش الذى حشده عدوه بظاهر سمرقند، ووافق على الصلح، ثم رجع إلى خوارزم[٨]،

---

(١) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٢٣٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص ٤١٦، ابن الوردى: تاريخ، ج٢، ص ٥٨.

(٣) بارتولد: تركستان، ص ٤٨٣، حافظ أحمد حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربى، القارة، بدون، ص ٢٨.

(٤) Skrine & Ross: (Skrine francis he nry and Ross Edward), The heart of ASIA, London, 1899, P140.

(٥) حافظ أحمد حمدى: الدولة الخوارزمية، ص ٢٨.

(٦) أبو الفدا: المختصر، مج٢، ج٣، ص ٣٤، ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ٦١.

(٧) الرواندى: راحة الصدور، ص ٤٠٣.

(٨) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٤٩، بارتولد: تركستان، ص ٤٨٥.

وساد الهدوء ست سنوات دعم فيها إيل أرسلان حكومته فى خراسان وذلك بعد أن طرد محمود خان آخر سلاجقة خراسان، عن عرشه وسمل عينية وذلك سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م[١].

وفى سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، عبر الخطى نهر جيحون، يريدون إقليم خوارزم، فسار صاحبها إلى إيل أرسلان، فجمع عساكره، وسار إلى أموية[٢] ليقاتلهم، ويصدهم، فمرض وأقام بالإقليم وسير بعض جيشه مع أمير كبير إليهم، فلقيهم فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزم الخوارزميون، وأسر مقدمهم، ورجع به الخطى إلى ما وراء النهر، وعاد خوارزم شاه إيل أرسلان إلى خوارزم مريضا[٣].

وفى سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م توفى خوارزمشاه إيل أرسلان بن آتسز بن محمد بن نوشتكين، فتملك بعده سلطان شاه محمود، وكان ابنه الآخر تكش[٤] مقيمًا على مدينة جند[٥]. ليبدأ بذلك صراعا آخر فى البيت الخوارزمى بين الأخوين من ناحية وبين الخوارزميين وآخر سلاطين السلاجقة من ناحية أخرى.

على أن تكش عندما بلغه موت أبيه، وتولية أخيه، الصغير، قصد ملك الخطا على أن يدفع له الجزية السنوية[٦]، فسير معه جيشا كثيفا، فساروا حتى قربوا خوارزم، فخرج سلطان شاه وأمه إلى المؤيد[٧]، صاحب نيسابور، واستولى تكش على البلاد، ثم التقى هو والمؤيد، فانهزم عسكر المؤيد، وأسر وذبح صبرا، وهرب محمود وأمه إلى دهستان[٨]، فقصده تكش، فافتتح المدينة عنوة، فهرب سلطان شاه محمود، وأسرت أمه، فقتلها تكش، وعاد إلى خوارزم[٩].

---

(١) فامبرى: نفسه، ص ١٤٩: ١٥٠.

(٢) أموية: وهى آمل جيحون وآمل زم وآمل الشط وآمل المفازة لأن بينها وبين مرو رمال صعبة المسالك ومفازة أشبه بالمهلك وتسمى أيضا آموان وربما ظن قوم أن هذه الأسامى لعدة مسميات وليس الأمر كذلك. ياقوت: البلدان: مج١، ج١، ص ٥٧: ٥٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٣٧، ٣٨.

(٤) تكش: تكتب بالكسر وهى لفظ تركى، قديم معناه، قتال أو حصار أو موقعة فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية ١، ص ١٥٠.

(٥) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٩١.

(٦) بارتولد: تركستان، ص ٤٨٨، فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٥٠.

(٧) ابن الأثير: الكامل، نفسه، ص ٣٩.

(٨) دسهتان: مدينة مشهورة من مدن طبرستان ومعناها بالفارسية موضع القرى، وهى بين جرجان وخوارزم، وهى آخر حدود طبرستان، أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٣٩.

(٩) ابن الأثير: الكامل: مج١٠، ص ٣٩.

وقصد سلطان شاه ملوك الأطراف واستنجدهم على أخيه تكش وطرده، وكانت الحرب بينهم سجالا حتى مات سلطان شاه سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م واستقر فى ملك خوارزم أخوه تكش بن إيل أرسلان بن آتسز بن محمد بن نوشتكين[١].

كان سلطان السلاجقة فى تلك الفترة السلطان أرسلان طغرل بن محمد بن ملكشاه.

ويقول الروانديى[٢] إن هذا السلطان وصل إلى أسمى درجات العظمة والسلطنة، حتى توفى فى منتصف جمادى الآخرة فى سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، وجلس مكانه ولده طغرل الصغير (٥٧١ - ٥٩٠هـ/ ١١٧٥ - ١١٩٣م) وكان سيئ التدبير[٣].

وفى تلك الأثناء عمل تكش على تثبيت عرشه أولا، وأن يمد نفوذه من بعد ذلك صوب الغرب ليصبح قادرا على متابعة خططه الشرقية فى حرية أكبر، وساعده على ذلك اضطراب الأمور فى بلاط طغرل بن أرسلان[٤]. واستولى تكش على قلعة طبرك[٥] وطلب تكش ابنة السلطان ليزوجها ابنه يونس خان، ولكن فى سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، توجه طغرل إلى الرى[٦]، وحاصر قلعة طبرك، واستولى عليها، وقتل الحاكم الخوارزمى هناك وحملت جثته إلى خوارزم، واعتقل كبار الأمراء الخوارزميين[٧].

وفى سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م كان السلطان طغرل قد انشغل بالأنس والطرب، فانتهز تكش الفرصة، وخلع على نفسه لقب السلطنة[٨]، واستنجد به ثائر من أتباع السلطان السلجوقى يدعى «قتلغ إينانج»[٩]، فاضطرب الجيش[١٠]، ووافق ذلك وصول

---

(١) أبو الفدا: المختصر، مج٢، ج٣، ص ٥٣، ابن الوردى: تاريخ فى الوردى، ج٢، ص ٧٩.

(٢) راحة الصدور، ص ٤٣٠.

(٣) البندارى: آل سلجوق، ص ٢٧٥.

(٤) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٥٠: ١٥١.

(٥) طبرك: بفتح أوله وثانية والراء وآخره كاف، قلعة على رأس جبل بقرب مدينة الرى على يمين القاصد إلى خراسان وعن يساره جبل الرى الأعظم وهو متصل بخراب الرى خربها السلطان طغرل بن أرسلان سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩١م، لمزيد من التفاصيل راجع ياقوت: البلدان، مج٣، ج٦، ص ٢٤٧: ٢٤٨.

(٦) الرى: هى مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، وهى مدينة عجيب فى فضاء من الأرض، وإلى جانبها جبل أقرع لا ينبت شيئا يقال له طبرك، القزوينى: آثار البلاد، ص ٣٧٥، وهى من بلاد الجبل بفتح الراء المهملة وتشديد الياء: أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٣٠.

(٧) الروانديى: راحة الصدور، ص ٥٠٦.

(٨) الروانديى: نفسه، ص ٥١١: ٥١٢.

(٩) قتلغ إينانج: أى «المؤمن السيد» هو ابن عطابك إيلدركوز أى «المشرف على الناس»، وكان قد تنكر أشد عنه وأكرمه، قابل ذلك بالذهاب إلى خراسان وكتب إلى تكش ليمده بقوة يحارب بها سيده، فامبرى: تاريخ بخارى، حاشية ١، ص ١٥١.

(١٠) الروانديى: راحة الصدور، ص ٥١٣.

رسل الخليفة العباسى الناصر لدين الله ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥، إلى خوارزمشاه تكش يشكو من طغرل، ويطلب منه قصد بلاده، ومعه منشور بإقطاعه البلاد، فسار من نيسابور إلى الرى فتلقاه قتلغ إيناخ ومن معه بالطاعة، وساروا معه[١]، وخرج السلطان من المدينة فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م[٢]، وخرج معه بعض عسكره[٣]، والتقى العسكران بالقرب من الرى، فحمل طغرل بنفسه فى وسط عسكر تكش خوارزمشاه، فأحاطوا به وألقوه عن فرسه، وقتلوه فى ٢٤ من شهر ربيع الأول من نفس السنة، وحمل رأسه إلى خوارزمشاه فسيره من يومه إلى بغداد، وسار خوارزمشاه إلى همذان[٤] وملك تلك البلاد جميعها وكان الخليفة الناصر لدين الله قد سير عسكره إلى نجدة خوارزمشاه وسير إليه الخلع السلطانية مع وزيره مؤيد الدين بن القصاب[٥] فنزل على فرسخ من همذان، فأرسل إليه تكش خوارزمشاه يطلبه إليه، فقال مؤيد الدين: ينبغى أن تحضر أنت وتلبس الخلعة من خيمتى، وترددت الرسل بينهما فى ذلك، فقيل لخوارزمشاه إنها حيلة عليك حتى تحضر عنده، ويقبض عليك، فدخل خوارزمشاه إليه قاصدا لأخذه، فاندفع بين يديه إلى بضع الجبال فامتنع به، فرجع خوارزمشاه إلى همذان، ولما ملك همذان وتلك البلاد سلمها إلى قتلغ إينانج[٦]، وأعطى ابنه «يونس خان» مدينة الرى، وعاد إلى خوارزم[٧].

وهكذا نجح تكش فى أن يقيم له دولة لا تقل فى اتساع رقعتها عن دولة السلاجقة الأول، وقد دامت فترة حكم تكش بن إيل أرسلان حتى سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩ بعد أن

---

(١) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ٢٣٢.

(٢) الروانديى: راحة الصدور، ص ٥١٣.

(٣) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٣١٣.

(٤) همذان: وهى من بلاد الجبل، وتقع وسط بلاد الجبل. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤١٦: ٤١٧، ويقول ياقوت وهى أكبر مدينة بالجبال، ياقوت: البلدان، مج٤، ج٨، ص ٤٨٢ لمزيد من التفاصيل عن همذان راجع ياقوت: البلدان، مج٤، ج٨، ص ٤٨٢: ٤٨٧.

(٥) مؤيد الدين بن القصاب: هو أبو عبد الله بن محمد بن على المعروف بالقصاب، وكان يتصف بالتهور والتكبر وقلة العقل وسوء التدبير، والدليل على ذلك ما فعله من تكش، ولكنه بعد أن هرب فى الجبال واثناء غياب يونس خان انتهز الفرصة، واتجه إلى همذان بأمر الناصر لدين الله، وسار تكش نحو همذان، ولكن شاءت إرادة الله أن يتوفى فى هذا الوقت، وانتصر تكش، وأمر بخروج القصاب من قبره وفصل رأسه عن جسده وأن يحملوها إلى خوارزم. الروانديى: راحة الصدور، ص ٥٣٠.

(٦) ابن الأثير: الكامل، مج ١٠، ص ٢٣٣.

(٧) الروانديى: راحة الصدور، ص ٥١٩.

حكم البلاد فترة تصل إلى ثمانية وعشرين عاما. وخلفه فى حكم البلاد ابنه علاء الدين محمد خوارزمشاه بعد أن كان قد أوصى أولاده بأن يتجنبوا كل نزاع مع كرخان شمال الصين لأنه واجهة قوية ضد ما يسمى بالخطر المغولى[١].

خامسا: قيام الدولة الخوارزمية ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م:

بعد أن قضى السلطان تكش على آخر سلاطين السلاجقة طغرل سنة ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م، واصطدم بجيش الخليفة الناصر لدين الله، وهزمه فى همذان، ونقش قبر مؤيد الدين القصاب، وقام بجز رأسه، وأرسلها إلى خوارزم مما اضطر الخليفة العباسى إلى محالفة تكش بعد هذه الهزيمة[٢]، فأرسل برسالة من دار الخلافة إليه، وهو فى همذان، وعندما قدم إليه «مجد الدين البغدادى» بالرسالة فألقى تكش خوارزمشاه عدة أثواب، كما نثر أمامه طبقا من الذهب، وقام تعظيما له، وحينما قال له مجد الدين «إن أمير المؤمنين يسلم عليك» قام خوارزمشاه، وأظهر الخضوع، وتم التحالف[٣].

ففى سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م ملك تكش مدينة بخارى عنوة، وعفا عن أهلها وأحسن إليهم وفرق فيهم مالا كثيرا، وأقام بها مدة ثم عاد إلى خوارزم[٤].

وفى سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م سار خوارزم شاه تكش إلى الرى وغيرها، وسيرت الخلع من الخليفة إليه وإلى ولده علاء الدين محمد وتقليد ما بيده من البلاد[٥].

وفى سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م توفى خوارزمشاه تكش الذى أزال دولة بنى سلجوق، وذلك عندما تغيرت نيته على الخليفة الناصر وعزم على قصد العراق فجاءه الموت فجأة بدهستان وحمل إلى خوارزم وقام بعده ولده علاء الدين محمد[٦].

---

(١) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٥١: ١٥٢، الغنيمى: الإسلام والمسلمون فى آسيا، ص ٩٦: ٩٥، محمد عبد العظيم أبو النصر: المسلمون وحضارتهم فى آسيا الوسطى، ص ١٠٦، مصطفى دسوقى كسبه: المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز، مؤتمر جامعة الأزهر ١٩٩٣م، ص ٨٦.

(٢) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٥١.

(٣) الرواندى: راحة الصدور، ص ٥٣٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ٢٥٤.

(٥) ابن الأثير: نفسه، مج١٠، ص ٦٢، ٢٦٣، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٣٢٨، حسن إبراهيم: النظم الإسلامية، ص ٧٦، ٧٧.

(٦) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٢، ج٤، ص ٣٢٤، ويقول ابن الأثير أنه توفى بشهرستانة بلده بين نيسابور وخوارزم، مج ١٠، ص ٥٩٦، عباس إقبال: المصدر السابق، ص ٣٢٨، حسن إبراهيم: النظم الإسلامية، ص ٧٦، ٧٧.

سادسا: علاء الدين محمد بن تكش بن إيل أرسلان بن آتسز بن محمد بن نوشتكين خوارزمشاه (٥٩٦ - ٦١٧هـ/ ١١٩٩ - ١٢٢٠م).

خلف علاء الدين محمد بن تكش أباه فى حياته، وما أن اضطلع بشئون حكومته حتى عوقته الحوادث عن أن يزيح عن كاهله ما يثقل نفسه من أمر الحزية[١].

وفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م سار غياث الدين محمد بن سام ملك الغورية[٢] واستولى على ما كان لخوارزمشاه بخراسان ولما ملك غياث الدين مرو سلمها إلى هندوخان بن ملكشاه بن خوارزمشاه الذى كان قد هرب من عمه علاء الدين محمد خوارزمشاه إلى غياث الدين ثم استولى غياث الدين على سرخس وطوس[٣] ونيسابور وغيرهم، ولما استقرت هذه البلاد لغياث الدين عاد إلى بلاده، ولما اتصل بخوارزمشاه علاء الدين محمد عودة العساكر الغورية عن خراسان، جمع عساكره وسار عن خوارزم نصف ذى الحجة من نفس السنة، فلما قارب نسا وأبيورد[٤] هرب هندوخان ابن ملك شاه من مرو إلى غياث الدين، وملك خوارزمشاه مدينة مرو، ثم سار إلى نيسابور، فملكها وعاد إلى خواروم[٥]، وأرسل إلى غياث الدين فى الصلح وأجابه عن رسالته مع رجل يدعى الحسينى المرغنى، فقبض عليه خوارزمشاه، وسار إلى هراة[٦] ليحاصرها، فجاء ألب غازى وهو ابن أخت غياث الدين فى عسكر من الغورية، وسار غياث الدين إلى هراة فى عسكره، فأقام علاء الدين محمد على هراة أربعين يوما وعزم على الرحيل؛ لأنه بلغه انهزام أصحابه بالطالقان[٧]، ثم ارتحل خوارزمشاه عن مكانه شبه المنهزم، وكان

---

(١) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٥٢.

(٢) الغور: بضم أوله وسكون ثانيه وآخره راء جبال وولاية بين هراة وغزنة وهى بلاد باردة واسعة موحشة، وهى مع ذلك لا تنطوى على مدينة مشهورة وأكبر ما فيها قلعة يقال لا «فيروزكوه» يسكن ملوكهم فيها. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٦، ص ٤٠٠.

(٣) طوس: مدينة بخراسان بقرب نيسابور، مشهورة ذات قرى ومياه وأشجار. القزوينى: آثار البلاد، ص ٤١١.

(٤) أبيورد: هى مدينة بخراسان بقرب سرخس. القزوينى: المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٥) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٢٧١ - ٢٧٣، أبو الفدا: المختصر، مج٢، ج٣، ص ١٠٠، ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ١١٥.

(٦) هراة: بالفتح: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص ٤٧١.

(٧) الطالقان: بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون، وهى من أعمال خراسان. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٥٨.

ذلك سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م[١]، وفى العام التالى ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م توفى غياث الدين محمد ابن سام الغورى[٢]، وكان أخوه شهاب الدين بطوس، عازما على قصد خوارزم، فأتاه الخبر بوفاة أخيه، فسار إلى هراة، وجلس للعزاء بأخيه[٣]، وفى أول رجب سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م وصل خوارزمشاه محمد إلى مدينة هراة فحصرها إلى شعبان[٤]، وجرت حروب كثيرة بين الخوارزمية والغورية يطول ذكرها[٥]، وارتحل خوارزمشاه عن البلد، وسار إلى سرخس[٦]، وفى رمضان من نفس السنة عاد شهاب الدين الغورى إلى خراسان، قاصدا خوارزم، وكان خوارزمشاه قد سار من سرخس إلى مرو فأقام بظاهرها، ورحل يسابق شهاب الدين إلى خوارزم والتقى العسكران «بسوقرا»، ومعناه الماء الأسود، فجرى بينهما قتال شديد كثرت القتلى فيه من الفريقين، وأرسل خوارزمشاه إلى الأتراك الخطا يستنجدهم، وهم حينئذ أصحاب ما وراء النهر، فاستعدوا وساروا إلى بلاد الغورية فى أول صفر سنة ٦١٠هـ/ ١٢٠٤م، وانتهى القتال بالصلح، فاصطلحوا على أن الخطا لا يعبرون النهر إلى بلاده، ولا يعبر إلى بلادهم ورجعوا عنه، وخلص هو وعاد إلى بلاده[٧].

وفى سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م، واستولى خوارزمشاه على بلاد الغورية بخراسان[٨]، وأخذ خوارزمشاه مدينة بلخ[٩]، وسار عنها إلى مدينة ترمذ[١٠]، وحاصرها خوارزمشاه من جانب، والخطا من جانب آخر، فتسلم خوارزمشاه ترمذ، وسلمها إلى الخطا[١١]، وقتل فى نفس العام السلطان شهاب الدين محمد بن سام الغورى[١٢]، وخلفه غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد ولم يكن مثل أبيه، فاغتنم خوارزمشاه الفرصة[١٣]،

(١) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٢٧٩.
(٢) الذهبى: دول الغسلام، ج٢، ص ١٠٧، ابن كثير: البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص ٤٣.
(٣) ابن الأثير: الكامل: مج١٠، ص ٢٨١.
(٤) ابن الأثير: نفسه، مج١٠، ص ٢٨٥.
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص ٤٦.
(٦) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٢٨٥.
(٧) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٢٨٥ - ٢٨٨، بارتولد: تركستان، ص ٥٠٣، ٥٠٤.
(٨) بارتولد: تركستان، ص ٥٠٣.
(٩) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٣، ج٥، ص ٨.
(١٠) ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقى. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج٢، ص ٤٤١.
(١١) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٣١٥.
(١٢) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ١٠٩، أبو الفدا: المختصر، مج٢، ج٣، ص ١٠٦.
(١٣) بارتولد: تركستان، ص ٥٠٧.

وملك مدينة الطالقان، وكان عليها نائب غياث الدين محمود الملك سونج[١] فالتقى الجمعان وحمل سونج وحده وساق إلى أن وصل إلى خوارزمشاه، فترجل ورمى سيفه وقبل الأرض وقال: العفو، فتعجب خوارزمشاه فظن أنه سكران[٢]، ولما فرغ خوارزمشاه من الطالقان، سار إلى هراة، فنزل بظاهرها، فملكها[٣] وبذلك استولى خوارزمشاه على هراة، وكل إقليم الغور[٤].

لقد رأينا أن علاء الدين محمد خوارزمشاه فى نضاله مع آخر منافسيه بعد أن هزم أمراء الهند - الغور، لم يكن باستطاعته بطبيعة الحال أن يظل تابعا للدولة الخطا[٥].

ففى سنة ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م عبر نهر جيحون لقتال الخطا[٦]، ليغزو ما وراء النهر، فخرج فى جيوش عظيمة، فالتقاه صاحب الخطا[٧]، وجرت حروب طويلة، انهزم فيها المسلمون[٨] وقتل منهم الكثير، وأسر جماعة منهم السلطان علاء الدين محمد مع أمير يسمى ابن مسعود أسرهما رجل وهو لا يشعر به ولا يدرى أنه السلطان[٩]. وأشار عليه الأمير مسعود، بأن يجعل السلطان نفسه مملوكا له، فصير نفسه مملوكا لذلك الأخير، وبقى يقف فى خدمته، فقال الأمير للخطائى الذى أسرهما: ابعث رسولك مع غلامى - يقصد السلطان - هذا إلى أهلى ليرسلوا مالا فى فكاكى، ففعل وتمت الحيلة، وعاد خوارزمشاه إلى ملكه، ثم عرف الخطائى فسار مع ذلك الأمير إلى خدمة السلطان فأكرمه وأعطاه أشياء كثيرة[١٠].

وبينما السلطان فى الأسر، بلغ الخبر أخاه على شاه، وهو بطبرستان[١١]، فدعا إلى نفسه وقطع خطبة أخيه، واستعد لطلب السلطنة، واختلطت خراسان اختلاطا عظيما، فلما عاد خوارزمشاه محمد إلى ملكه خاف أخوه على شاه فسار إلى غياث الدين محمود ملك الغورية فأكرمه وأقام عنده بفيروزكوه[١٢].

(١) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٣٢٣.
(٢) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ١١٠.
(٣) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٣٢٤.
(٤) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٥٣.
(٥) بارتولد: تركستان، ص ٥٠٧.
(٦) ابن الأثير: المصدر السابق، مج١٠، ص ٣٣٣.
(٧) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ١١٠.
(٨) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٣، ج٥، ص ١٢.
(٩) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص ٥٨.
(١٠) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١٩٢، ١٩٣، ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ١٢٣.
(١١) أبو الفدا: المختصر، مج٢، ج٣، ص ١١٠.
(١٢) فيروزكوه: هذا معناه الجبل الأزرق وأكثر ما يقولونه بالياء وبيروزه بلغة أهل خراسان الزرقة، وهى=

لما وصل خـوارزمشاه إلى خـوارزم أتته الأخـبار بما فـعلة كزلك خـان ملك الخطا وأخوه على شاه، وذكر ما حدث من هروب على شاه، فـسار خوارزمشاه إلى خراسان، وبلغ كذلك خان وصوله، فأخذ أمواله وعساكره وهرب نحو العراق، ودخل خوارزمشاه نيـسابور، وأصلح أمـرها وجـعل فيـها نائبـا[١]، ويقول الذهبى[٢]: فى حوادث سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م، كانت الزلزلة العظمى بنيسابور، فدامت أياما وهلك خلائق كثيرة.

وسار إلى هراه، وملكها، وسلمها إلى خاله أمير ملك فى سنة ٦٠٥هـ/١٢٠٨م، ثم أمر بقـتل غياث الدين محـمود وعلى شاه أخو السلطان فـقتلهما أمـير ملك فى يوم واحد فى فيروزكوه، واستقامت خراسان كلها لخـوارزمشاه محمد، وغياث الدين محمود هذا أخر ملوك الغورية[٣].

ولما استقر أمر خراسان لعلاء الدين محمد خـوارزمشاه، عبر نهر جيحون، فجمع له الخطا جمعـا عظيما، وساروا إليه، واجـتمع خوارزمشاه وصاحب سـمرقند، وجرت حروب لم يكن قبلها شدة وصبرا، فانهزم الخطا هزيمة منكرة، وقتل منهم وأسر خلق لا يحصى، ثم قـصد خوارزمشـاه إلى إقليم ما وراء النهر، فـملكها مدينة مدينة، وناحـية ناحية حتى بلغ أوزكند[٤]، وجعل نوابه فيها، وعاد إلى خـوارزم ومعه سلطان سمرقند، وزوجة وابنته[٥]، ثم غدر صاحب سمرقند بالخوارزميين، وأرسل إلى ملك الخطا يدعوه إلى سمرقند ليسلمـها إليه، وأمر بقتل كل من كان فى سمرقند مـن الخوارزمية، ومضى إلى القلعة ليقتل زوجـته ابنه خوارزمشاه[٦]، فأمر خوارزمـشاه عساكره بالتجـهيز إلى ما وراء النهر، فعبـر منهم خلق كثير لا يحصى، ثم عبر هو بـنفسه فى آخرهم، ونزل على سمرقند[٧]، ولم تطل مقاومـة سمرقند[٨]، وقتل صاحبـها، ولم يترك أحدا ممن ينسب

=قلعة عظيمة حصينة فى جبال غورشتان بين هراة وغزنة وهى دار مملكة من يمتلك تلك النواحى، لمزيد من التفاصيل راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٦، ص ٤٥٢.

(١) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٣٣٦.

(٢) دول الإسلام، ج٢، ص ١١١.

(٣) أبو الفدا: المختصر، مج٢، ج٣، ص ١١٠، ابن الوردى: تاريخ، ج٢، ص ١٢٣.

(٤) أوزكند: بالضم والواو الزاى ساكنان، بلد بما وراء النهر من نواحى فرغانة، وهى آخر مدن فرغانة مما يلى دار الحرب ولها سور وقلعة وعدة أبواب وإليها يتجر الأتراك: ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج١، ص ٢٢٣.

(٥) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(٦) ابن الأثير: نفسه، مج١٠، ص ٣٣٨، بارتولد: تركستان، ص ٥٢٤.

(٧) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٣٣٨.

(٨) بارتولد: تركستان، ص ٥٢٤.

إلى الخانية إلا وأمر بـقتله، وملك سمرقند ورتب فيهـا وفى سائر البلاد من ينوب عنه، ولم يبق لأحد معه فى البلاد حكم[١].

وفى هذا الوقت بدأ ظهور المغول[٢]، فإنهم كانوا ببادية الخطا فلما سمعوا بالهزيمة العظمى على الخطا قصدوهم مع كشلوخان[٣]، فكاتب صاحب الخطا علاء الدين محمد خوارزمشاه يقول: أما ما كان من أخذك بلادنا وقـتلك رجالنا فمعفو عنه، فقد أتانا عدو لا قبل لـنا به، فإن انتـصروا علينا وأخـذونا فلا دافع لهم عنك، فـالمصلحة أن تنـجدنا عليهم، فكاتبهم خوارزمشاه: ها أنا قادم لنصركم[٤]، كما أرسل كشلو خان ملك المغول إلى علاء الدين محمد خوارومشاه يقول: إن هؤلاء الخطا أعداؤك وأعداء آبائك وأعداؤنا فساعـدنا عليهم، ونحلف أننا إذا انتصرنا علـيهم لا نقرب بلادك[٥]، فأجاب: إننى آت معكم لنستأصل الخطا، وسـار بجيوشه إلى أن نزل عقب لفريقـين يوهم كل فرقة أنه لها كمـين، فوقع المصـاف فانهزمت الخطا، ثم أنه راسـل كشلو خان ليـقاسمـه مملكة الخطا فأجابه: إن قنعت بالمسالمة وإلا فسوف ترى[٦]!! فأخذ جند خوارزمشاه يتخطفون المغول ويسرقونهم، فبعث إلى كشلو خان: ليس هذا فعل الملوك هذا فعل اللصوص، فإن كنت ملكا فاعمل مصافا[٧]، ويجب أن نلتقى فإما أن تهـزمنى وتملك البلاد التى بيدى، وإما أن أفعل بك ذلك، فكان يغالطه ولا يجيبـه إلى ما طلب، وعلم خوارزمشاه أنه لا طاقة له به فكان يراوغـه[٨]، فـأمـر أهل ممالكه مـن ناحـيـة الخطا[٩]، ومنهم الشـاش[١٠]

---

(١) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٣٣٩.
(٢) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥٣٨.
(٣) خان: لقب أطلقه المغـول على رؤسائهم الذين يتولون جزءا من الإمبراطورية المغـولية، وهو يختلف عن لقب «خاقان» الذى أطلقوه على الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه الخان الأعظم. وقد استعمل المغول لقب «خان» أيضا بمعنى «خاقان» وربما كان ذلك من باب الرغبة فى الاختصار، ومما هو جدير بالذكر فى هذا المقام، أن الفرق بين «خـان» و«خاقان» يشبه الفرق بين كلمـتى «سلطان» و«ملك»، فالسلطان هو الملك الأعظم كالسلطان صلاح الدين الأيوبى، أما ملك فهـو أحد ولاة السلطان من أبناء بيته، كالملك العادل حينما كان صاحب دمشق من قبل أخيـه صلاح الدين الأيوبى. وقد وجد هذا الفرق أيضا عند الفرس، فإن لقب «شـاهنشاه» ومعنـاه ملك الملوك يتميـز عن لقب «شاه» فقط وهـو الملك الصغيـر. المقريزى: السلوك ج١، قسم٢، حاشية ٤، ص ٣٠٧.
(٤) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ١١٢، ١١٣.
(٥) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٣٣٩.
(٦) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ١١٣.
(٧) الذهبى: نفسه، ج٢، ص ١١٣.
(٨) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٣٤٠.
(٩) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ١١٣.
(١٠) الشاش: وهى من أقاليم مـا وراء النهر، والشاش وإيلاق مقـدار عرضها مسيـرة يومين فى ثلاثة أيام، وليس بخراسان وما وراء النهر إقليم على مقدارها فى المساحة ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤١٦.

وفرغانة[١] وكاسان[٢] وما حولها من البلاد النزهة العامرة - أمرهم بالجلاء إلى سمرقند وغيرها، ثم خر بها جميعا خوفا من المغول أن يملكوها[٣]، ثم اتفق خروج هؤلاء المغول الآخر الذين خربوا الدنيا وملكهم جنكيز خان على كشلو خان المغولى الأول، فانشغل بهم كشلو خان عن خوارزمشاه، فخلا وجهه فعبر النهر إلى خراسان[٤].

وسوف نتحدث عن العلاقة بين الدولة الخوارزمية والمغول، فى الفصل الرابع، أما ما تبقى من الحديث فهو عن السلطان محمد واستيلائه على بقية الأقاليم والمدن.

ففى سنة ٦١١هـ/ ١٢١٤م، أرسل خوارزمشاه أميرا من أخصاء أمرائه عنده، فى جيش، ففتح كرمان[٥] ومكران[٦] وعلى حدود بلاد السند[٧]، وخطب له بتلك البلاد، وكان خوارزمشاه لا يصيف إلا بنواحى سمرقند، خوفا من المغول وكشلو خان أن يثبتوا على أطراف تلك البلاد التى تتاخمهم[٨].

وفى سنة ٦١٢هـ/ ١٢١٥م، ملك خوارزمشاه مدينة غزنة[٩] وأعمالها[١٠]، وقيل أن ملك خوارزمشاه غزنة سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، ترك ولده جلال الدين بها مع جماعة من عسكره وأمرائه[١١]، ثم سار سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، إلى بلاد الجبل[١٢]، وغيرها

(١) فرغانة: وهى من أقاليم ما وراء النهر، وقصبتها أخيسكث، ويقال إن بها أربعين منبرا، المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢١٤.

(٢) كاسان: مدينة كبيرة فى أول بلاد تركستان من وراء نهر سيحون وراء الشاش، ولها قلعة حصينة، وعلى بابها وادى أخسيكث. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص ١١٤.

(٣) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥٥٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٣٤٠.

(٥) كرمان: وهى ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة. ياقوت الحموى: البلدان، مج٤، ج٧، ص ١٣٢.

(٦) مُكران: بالضم ثم السكون وراء آخره نون أعجمية، وهى ولاية واسعة تشمل على مدن وقرى وهى بين كرمان من غربها وسجستان بشمالها والبحر جنوبا والهند فى شرقها. ياقوت: معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص ٣٠٥: ٣٠٦.

(٧) السند: هى بلاد يمين بلاد الهند وكرمان وسجستان والبعض يجعل مكران منها. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص ٨٢.

(٨) ابن كثير: البداية والنهاية، مج ٧، ج١٣، ص ٨٠.

(٩) غزنة: مدينة عظيمة على طرف خراسان، وهى الحد بين خراسان والهند. ياقوت: معجم البلدان، مج٣، ج٦، ص ٣٨٨.

(١٠) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ١١٨.

(١١) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٣٣٦.

(١٢) بلاد الجبل: وتشمل على عدة مدة مشهورة وأعظمها همذان والدينور وأصبهان وقم ولها مدن أصغر كاسان، ونهاوند واللورد والكرج والبرج. وابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٠٦.

فملكها، ودخل أزبك من البهلوان صاحب أزربيجان[١] وأران[٢] فى طاعة خوارزمشاه، وخطب له ببلاده[٣]، ثم عزم على المسير إلى بغداد للاستيلاء عليها وقد كان بعض العسكر بين يديه وسار خوارزمشاه فى أثرهم من همذان يومين أو ثلاثة فسقط عليهم من الثلج ما لم يسمع بمثله فهلكت دوابهم وخاف من حركة المغول على بلاده، فولى على البلاد التى استولى عليها وعاد إلى خراسان وكان معه سبعون ألفا من الخطا[٤] وقطع خطبة الخليفة الناصر من بلاد خراسان سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، وكذلك أقاليم ما وراء النهر، وبقى إقليم خوارزم ومدينتى سمرقند وهراة لم يقطعوها منهم، فإن أهل هذه البلاد لا يلتزمون بمثل هذا بل يخطبون لمن يختارون ويفعلون نحو ذلك[٥].

وبذلك عاد علاء الدين محمد خوارزمشاه إلى خراسان دون أن يحقق هدفه وهدف آبائه بالاستيلاء على بغداد، وكان المغول فى ذلك الوقت يتخطفون وينتقلون حتى سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م[٦].

وفى سنة ٦١٦هـ/ ١٢٢٩م، خرج «المغول» لغزو البلاد الإسلامية، فاستولوا عليها الواحدة تلو الأخرى، ولم يتحمل علاء الدين محمد هذه الصدمة فأسلم الروح سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، وتم لهم الاستيلاء على إقليم خوارزم (٦١٧ - ٦١٨هـ/ ١٢٢٠ - ١٢٢١م)[٧].

وبذلك اضطربت الأحوال السياسية والاجتماعية للدولة الخوارزمية وأصبحت أقاليمها خاوية على عروشها، وباتت طعمة للمغتصبين من الحكام والقواد.

سابعا: وفاة السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)

عندما استولى المغول على بعض البلاد الإسلامية، أرسل جنكيز خان عشرين ألف فارس فى أثر السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، فعبروا نهر جيحون وصاروا مع

(١) أذربيجان: أذربيجان إقليم واسع من أشهر مدائنها تبريز وهى العاصمة ومن مدنها خوى وسلماس وأرمية وأردبيل وغير ذلك، وهو صقع جليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجبال وفيها قلاع كثيرة. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج١، ص ١٠٩.

(٢) أران: وهو إقليم مشهور يتاخم أذربيجان وأران أيضا قلعة من نواحى قزوين. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٨٦.

(٣) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج٢، ج٣، ص ١١٨، ابن الوردى: تاريخ، ج٢، ص ١٣٢.

(٤) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ١١٩.

(٥) أبو الفدا: المختصر، مج٢، ج٣، ص ١١٨، ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ص ١٣٢.

(٦) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥٥٣.

(٧) لمزيد من التفاصيل: راجع الفصل الرابع ص ١٦٨ - ١٧٠.

خوارزمشاه فى بر واحد فلم يشعر وعسكره إلا والمغول معه فتفرق عسكره، ورحل السلطان فى نفر من خواصه ووصل إلى نيسابور[١]، والمغول معه فتفرق فى أثره، فلما قربوا منه رحل إلى مدينة مازندان، وهم فى أثره، فرحل حتى وصل إلى مرسى من بحر طبرستان[٢]، وكان له فى البحر قلعة، فعبر البحر ومعه أصحابه، حتى يئس المغول من اللحاق به، واستقر فى هذه القلعة حتى توفى سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م[٣]، ولم يكن هناك كفن له فتم تكفينه فى قميص أحد رجاله[٤].

وكان السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه قد أعطى ولاية العهد إلى ولده قطب الدين أزلاغ شاه[٥]، فلما اشتد المرض بالسلطان فى القلعة، أحضر جلال الدين وأخويه أزلاغ شاه وأق شاه، وقال: إن عرى السلطنة قد انفصمت، والدولة قد وهت قواعدها وتهدمت وهذا العدو قد تأكدت أسبابه وتشبثت بالملك أظفاره، وتعلقت أنيابه، ولن يأخذ بثأرى منه إلا ولدى جلال الدين[٦].

وبذلك آلت السلطة فى الدولة الخوارزمية إلى ابنه جلال الدين[٧].

ثامنا: السلطان جلال منكبرتى[٨] وجهاده ضد المغول

(٦١٧ - ٦٢٨هـ/ ١٢٢٠ - ١٢٣٠م)

كان السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه، وهو على فراش الموت (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) قد أوصى بولاية العهد إلى ولده جلال الدين منكبرتى، وكان يرى أن ابنه جلال الدين هو الشخصية التى تصلح للوقوف أمام جحافل المغول[٩].

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، مج١٠، ص ٤٠٦.
(٢) بحر طبرستان، هو بحر الخزر وجرجان وآبسكون كلها واحد، وهو بحر واسع عظيم لا اتصال له إلا بغيره، ويسمى أيضا الخراسانى والجبلى وربما سماه بعضهم الدوراة الخراسانية. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج٢، ص ٢٢٧.
(٣) أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر، مج٢، ج٣، ص ١٢٧.
(٤) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٣٥٩، بارتولد، تركستان، ص ٦٠٣.
(٥) النسوى: سيرة جلال الدين منكبرتى، ص ٧١، ابن الوردى، تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ١٥١.
(٦) النسوى: سيرة جلال الدين منكبرتى، ص ١٢٠.
(٧) القرمانى: أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، ص ٢٧٦.
(٨) منكبرتى: معناه «أطفس الأنف»، فالمقطع الأول منه مرض يصيب الأنف ومنخاز الخيل بعبارة أدق. وعلى هذا ينتهى لقب هذا الأمير إلى معنى غير شاعرى هو «من يسيل المخاط من أنفه»، أما فامبرى فقد لقبه منكوبردى أى مبعوث السماء، تاريخ بخارى، حاشية(١)، ص ١٧٧.
(٩) النسوى: سيرة جلال الدين منكبرتى، ص ١٢٠، عفاف سيد صبرة: التاريخ السياسى للدولة الخوارزمية، ط١، دار الكتاب الجامعى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٩٣.

وكان جلال الدين منكبرتى له ملك غـزنة، وبلاد الهند، وعندما علم بوفاة والده، عاد هو وأخويه أزلاغ شاه وأق شاه إلى إقليم خوارزم[١].

وبعد وصـول جلال الدين وأخـويه، وإعلان ولاية عـهد جـلال الدين، لم يرض أمراء الأتراك لهذا الأمـر، وأعلنوا معارضتهم لجـلال الدين وصمموا على قـتله، فخرج ومعه ثلاثـمائة فارس[٢]، فالتـقى بسبعمـائة جندى من المغول، فقـضى عليهم بهجـمة واحدة، واستولى على خيلهم وأسلحتهم، وقتل من استطاع الفرار منهم حتى من لجأ من هؤلاء المغول إلى الاعتصـام خوفا بترع نسا أخرجهم جنوده مـن الترع وضربوا أعناقهم، وأخذ طريقه إلى مـدينة نيسابور[٣]. فوصل إليها بسـرعة، إلا أن أخويه أزلاغ شاه وأق شاه، وقعـا فى قبضـة المغول، فقتلوهمـا واستولوا على ما مـعهما من جـواهر ونفائس وباعوها بثمن بخس[٤].

وفى سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، دخل جلال الدين مدينة هراة، وجمع جـيشا كبيرا، واستعد لمواجهة المغول، فسار إلى غرنة فملكها[٥]، وقد اجتمع إليه ممن سلم من عسكر أبيه ستين ألفـا، وقصد المغول غرنة، فخرج إليهم جـلال الدين، ومن معه من العسكر، فاقـتتلوا قـتالا شديدا، لمدة ثلاثة أيـام، فانتصـر المسلمون، وانهـزم المغول[٦]، وتبعهم المسلمون يقـتلونهم كيف شاءوا، وانتصـر المسلمون، وانهزم المغـول للمرة الثانية بقـيادة جنكيز خان، وقتل المسلمون الكثير، وغنـموا شيئا كثيرا[٧]. ثم أن المسلمين جرى بينهم فتنة من أجل الغنائم[٨]، وحمل المغول على خـيمة جلال الدين، فـانكسرت وأسر ابن جلال الدين، وتبدد نظامه[٩]، فهرب إلى بلاد الهند[١٠].

---

(١) النسوى: سيرة جلال الدين، ص ١٢٢، حافظ أحم حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٦٢.

(٢) Dohsson. M. Le. Barom: historie does Mongols depuis Ginguiz- Khan Jusqua Timour Bey. Ou Tamerlan (pairs 1824) p.262.

(٣) عبـاس إقبال: تاريخ المغـول منذ حملة جنكيز خـان حتى قيـام الدولة التيمـورية، ترجمة عـبد الوهاب علوب، مراجعة حسن النابودة، المجمع الثقافى، أبو ظبى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٨٥، محمد عبد العظيم: تاريخ المسلمين وحضارتهم فى آسيا الوسطى، ص ١٢٣.

(٤) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٣٦٥.

(٥) النسوى: سيرة جلال الدين، ص ١٣٤.

(٦) ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ٤٢٢.

(٧) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج٢، ج٣، ص ١٢٨.

(٨) لمزيد من التفاصيل: راجع الفصل الرابع، ص ١٧٥.

(٩) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ١٢٦.

(١٠) ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ١٣٩.

وظل جلال الدين فى بلاد الهند، يعانى من هول ما أصاب دولته، من انهيار، بعد أن قدر لهذه الدولة أن تصل إلى ذروة المجد[١].

وعلى الرغم من المعاناة التى عاناها جلال الدين فى بلاد الهند، إلا أنه كان مصمما على العودة، ومواصلة الجهاد ضد المغول الكفار. فخرج من بلاد الهند فى سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، ووصل إلى كرمان، ومعه أربعة آلاف فارس فاستولى عليها[٢]، ثم سار إلى خوزستان[٣]، وقوى أمره على المغول[٤]، وأراد توسيع نفوذه على حساب القوى المتعددة القائمة فى ذلك الوقت[٥]، فاستولى على أصفهان وعلى عراق العجم ثم سار إلى فارس وانتزعها من أخيه، وكاتب الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ/ ١١٧٩ - ١٢٢٥م)، ثم سار حتى قارب بغداد[٦]، فاستعدت بغداد للحصار، ونهبت الخوارزمية البلاد وامتلأوا مغانم، وقوى جلال الدين وعسكره الخوارزمية[٧]، واستولى على مملكة أذربيجان سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م[٨]، ثم جرت حروب بين جلال الدين والكرج[٩]، وانتصر جلال الدين، وانهزم الكرج[١٠].

وفى سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م، عاود المغول بلاد جلال الدين خوارزمشاه وجرت بينهم حروب ظفر المغول فى أغلبها[١١]. وفى سنة ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م، فتح مدينة أخلاط. وانهزم بعدها على يد علاء الدين كيقباذ السلجوقى[١٢].

وفى منتصف شوال سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م قتل جلال الدين منكبرتى[١٣]، وبذلك انتهت الدولة الخوارزمية، التى كانت دولة قوية هامة من دويلات الشرق الإسلامى.

(١) حافظ حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١١٩.
(٢) النسوى: سيرة جلال الدين، ص ١٧٤.
(٣) خوزستان: هو اسم لجميع بلاد الخوزوستان كالنسبة فى كلام الفرس، راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص ٢٥٩، ٢٦٠.
(٤) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، قسم١، ص ٢١٥.
(٥) حافظ أحمد حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، ص ٢٠٤.
(٦) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج٢، ج٣، ص ١٣٤.
(٧) ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ١٢٩.
(٨) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ١٢٩.
(٩) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، مج٢، ص ٤٤٩، ٤٥٠.
(١٠) لمزيد من التفاصيل: راجع الفصل الرابع، جلال الدين وجهاده ضد المغول، ص ١٧٤ - ١٨٥.
(١١) ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ١٤٧.
(١٢) لمزيد من التفاصيل: راجع الفصل الرابع ص ١٨٤ - ١٨٥.
(١٣) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص ١٦٣.